



## كانوا يبيعون أولادهم للوفاة بديون مستحقة عليهم!

عندما كان أسلافنا القدامى يشنون حروبهم على جيرانهم الأعداء لم يأخذوا أسرى آنذاك لأن إخماد الأنفاس كان الأساس المعمول به في تلك العصور. وبحسب بعض النظريات فإن العبودية كانت خطوة نحو الأمام في تحقيق الإخاء العالمي. إذ بالرغم من حرمان هؤلاء الناس من حقوقهم فقد تم الاعتراف بقدراتهم التي يمكن أن ينتفع بها العالم. لكن صحة هذه النظرية تتوقف على ثقافة الشعوب وعلى ما تمتع به أبناء تلك الشعوب من رحمة وتعاطف نحو أولئك المساكين.

الرجال والنساء الذين كانوا يقعون قيد الأسر كانوا يقومون بأعمال المجتمع الخشنة الوضيعة وكان أسيادهم يتمتعون بالراحة والبجوحة على حساب أتعاب عبيدهم، مما وفر لهم متسعاً من الوقت للتفكير والاهتمام بشؤونهم الخاصة.

بالنسبة لأسرى الحرب فقد كان وضعهم يختلف عن وضع المستعبدين والمستخدمين في الأشغال لوفاء ديون مستحقة عليهم أو لمجرد المتاجرة برجال ونساء من ثقافات ذات خصوصيات بدائية. ومع أن التاريخ يؤكد أن العبودية من الفئة الأولى قد انتهت تدريجياً عبر التحولات الاقتصادية والسياسية، لكن العبودية بسبب الديون أو عبودية السود تم القضاء عليها بفعل انتفاضات معنوية رأت في العبودية شراً ورذيلةً ينبغي محاربتها والقضاء عليهما.

لقد كان العبريون القدامى يمارسون الرق إلى أن وقعوا أنفسهم في الأسر. ويذكر لنا هوميروس أن العبيد في زمنه كانوا يعاملون معاملة طيبة وأنه كان يتم شراؤهم من القرصنة، بل وإن بعض العبيد كانوا أرفع منزلة من أسيادهم. فيما بعد اعتاد الفقراء على بيع أولادهم أو التخلي عنهم، أو كانوا يقدمونهم إلى أسيادهم وفاء لديون مستحقة عليهم.

لقد قرر أفلاطون وزملاؤه أنه لا يحق لإغريقي أن يستعبد إنساناً آخر. ويقال أن عيسوب (صاحب الحكايات ذات المغازي مثل حكاية الثعلب والعنب) كان عبداً ومع ذلك عمل بتدريس أبناء أسياده. وقد كان العبيد يضطلعون بمسؤوليات كبيرة وأحياناً يشترون حريتهم بأنفسهم.

لقد ازدهرت العبودية في روما القديمة على قدر فتوحات جيوشها. فالأثرياء كان لديهم مجموعات كبيرة من العبيد من أسرى الحرب ومن القرصنة ومن سوق النخاسة. وهناك إحصاءات تبين أنه في أوج الإمبراطورية الرومانية كان لكل مواطن حر عبد واحد على الأقل. وكان العبيد تُعطى لهم حريتهم ومنهم من بلغ أوج العظمة مثل كاتب المسرحيات تيرنس القرطاجي والفيلسوف الشهير إبيكتاتوس. لم يحدث انتقال مفاجئ من العبودية إلى الحرية، بل حدث ذلك تدريجياً على مدى قرون طويلة.

في حوالي منتصف القرن الخامس عشر حصل المكتشفون البرتغاليون على بضعة عبيد زنوج كدفية لبعض المغاربة الذين كانوا قيد الأسر. ومنذ ذلك الحين راح البرتغاليون بأسرون الزنوج وينقلوهم إلى أوروبا. وفي عام 1517 سمح ملك إسبانيا تشارل الخامس بنقل العبيد إلى مستعمرات ما وراء البحار، فكانت عملية رابحة مما شجع بعض الدول على المتاجرة بالعبيد.

في نهايات القرن الثامن عشر كان الإنكليز ينقلون أكثر من نصف الزنوج إلى العالم الجديد (أمريكا). لقد كانت الدنمرك أول بلد يحظر تجارة الرق. وفي العام 1792 بدأ الحراك والعراك في بريطانيا لوضع نهاية للاسترقاق، وقد كان أفراد جماعة الكويكرز أول المنادين بذلك، فاستجاب لهم أخوتهم الكويكرز في أمريكا في نهاية القرن السابع عشر.

في انكلترا قام مجلس العموم بتمرير قانون سنة 1792 يحرم التجارة بالعبيد، لكن مجلس اللوردات لم يصادق عليه إلا في العام 1808. وفي نفس الشهر من ذلك العام حرمت الولايات المتحدة استيراد المزيد من الزنوج الأفارقة إلى أرضها.

ورحم الله القائل: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا!؟!